بَحرٌ بِلا شُطآن
(للحب وجوه كثيرة)
رشا شمس

بحر بلا شطآن

الطبعة الأولى

٢٠١٩

عيدية عيد الفطر المبارك

أعاد الله عليكم وعلينا بالخير واليمن والبركات

إلـــى كل من يُتابعني ظاهرًا كان أو مُختفيًا في

عالمنا الازرق الافتراضي (الفيس بوك) أُهدي قصتي

لكَ/لكِ شـــخصيًا ؛ فالحب تجربة فريدة حيَّة لا يُقدِّرها

إلا من يعيشها ..

كل عيد وقلبكَ/قلبكِ بخير

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم القصة: بحر بلا شطآن.

المؤلف: رشا شمس.

الغلاف: إبداع رشا شمس.

التنسيق والتجهيز والإبداع الفني: همت العزب.

تصحيح لغوي: نهى محمود.

التسجيل بوزارة الثقافة: ٥٣٥/ ٢٠١٩

للنشر والتوزيع

بحر الحب بلا شُطآن
(للحب وجوه كثيرة)

كانت تعرفه كمئات غيرها من القارئات، فالأستاذ نادر الزعفراني، كاتب فذ، ذاع اسمه واتسعت شهرته بعدما قدَّم عدد لا بأس به من المقالات الدسمة ذات الأفكار الجريئة والأطروحات المُغايرة لبعض القضايا النسائية الشائكة، تعرَّض خلالها لحزمة من الأفكار العتيقة البالية الظالمة لجنس "هـــنَّ"، ثمَّ تمدَّد صيته حين قدمتها أكبر شركات الإنتاج كمسلسل تليفزيوني في حلقات منفصلة، نجحت الفكرة وتوالت مواسم المسلسل حتَّى صارت ثلاثًا بعدما أصبح حديث الجمهور؛ انتقل بعدها قلم الأستاذ ليطرق كل باب خفي وكل باب مغلق تختبئ خلفه رواية لأطروحاتٍ لم يناقشها غيره، ثمَّ قدَّم روايتين في عامين متتالين وصلت إحداهما الى القائمة القصيرة المرشحة لجائزة البوكر، فكبُر اسم "نادر زعفران" وصار علمًا تُقرأ مقالاته وقصصه وتُباع رواياته محقِّقة أعلى الإيرادات..

كانت "ريتال " إحدى المتابعات لقلمه ولصفحته الشخصية على "الفيس بوك"، ما أن تقف على عتبة بوابته حتى تُسلِّم له عقلها وقلبها ليقودها بجميلِ ما يكتب إلى عالم آخر بديع... ثم تغيَّرت الأوضاع؛ فصارت هي عالمه وبوَّابته، صارت تُعرف به ويُعرف بها!

التقت به بعد عامين من تخرُّجها، حين أرسلها صديق لوالدها ببطاقة توصية إلى مكتب الأستاذ نادر لتشغل وظيفة مديرة مكتبه، أربكها الأمر حين قرأت الإعلان عن الوظيفة الشاغرة إلا أن والدها شجَّعها على خوض التجربة واللقاء بالأستاذ وجهًا لوجه متناسية تمامًا ما تسمعه عنه من أحاديث قد يكون معظمها محض خيال وافتراء، فالمنافسة شرسة في الوسط الأدبي لاسيما إن دخلت السينما والمسلسلات مضمار السباق.

لم تجده جادًا وقورًا.. خبيثًا أو مغرورًا... بل وجدته إنسانًا آخرًا، رجل بسيط إلى حد السذاجة، طريف، لا يعرف إلى الغرور سبيلًا، متواضعًا بلا تكلُّف، وجدته وكأنه لا يعرف قيمة نفسه ولا ثمن قلمه!

طرقت باب مكتبه طرقـات خفيفة؛ فلم يُجِب أحد.. عاودت الطـرق فلم يُجِـب أحد أيضًا، فتحت الباب فوجدته جالسًـا خلف مكتبه يكتب، مُنكبًا على أوراقه وأمامه حزمة من الأقلام الرصاص وإلـى جانبه علـى الأرض كومة من الورق.. فبرغم سـنوات عمره التي لا تزيد عن الخمسـة وثلاثين إلا أنه كـروَّاد الأدب الأوائل لا يسـتخدم الكمبيوتر أو أي مـن برامجه للكتابـة.. اضطرت لتنبيهه قائلة: **صباح الخير أستاذ نادر.**

رفع رأسـه وما أن لمحها حتى أشـرق وجهه بابتسامة ترحيب واسـعة، لكن الابتسـامة لم تسـتطع محو خطوط الإجهـاد البادية فوق جبينه، دعاها للجلوس وطلب من ساعي مكتبه إحضار كوب كبير من عصير الليمون للزائرة الشـابة التي أنهكها الصيف العنيف ورطوبتـه العالية، شـكرته ثـمَّ قدَّمت له خطاب التوصيـة قائلة: **أنا اللي باعتني الأستاذ صفوت عشان...**

وقبل أن تُكمِل حديثها قاطعها مازحًا: **إنتِ متأكدة إن صفوت بيعزِّك؟ يعني مفيش عداوة بينكم فحابب يتخلص منِّك على إيدي؟**

فاجأتها نبرته وحديثه المرح وكأنه يعرفها، استدرك يقول:

متقلقيش أنا مش متعب والله في الشغل، كل الحكاية إني كسول شويَّة ونسَّاي شويتين وإن مديرة مكتبي المفروض تشيل عني كل حاجه، إذا موافقة على كده يبقى يشرَّفني إننا نشتغل سوا.

قالت في دهشة: **معنديش مشكلة طبعًا ما أنا جاية أشتغل وشغلي إنِّي أريَّح حضرتك.**

: **يبقى مبروك، أوضتك هيَّ اللي جنبي دي، حظِّك حلو إمبارح بس التكييف اللي فيها اتصلح، مبروك يا...**

للتو أدركت أنها لم تُعرِّفه بنفسها فقالت: **ريتال عز الدين...، هو أنا كده اتقبلت؟!** قالتها وهي تبتسم كطفلة تسلَّمت هدية أو عروسة جديدة..

: **أيوه اتعيِّنتي والحسابات هتقولك تفاصيل المرتب ونظام العمولات و...**

: **المهم بس حضرتك تقول لي اختصاصاتي وتفاصيل شغلي..يهمني أعرف سيادتك عايز مني إيه عشان أعمله.؟**

مرَّت على وجهه سحابة حيرة وتغيَّرت نظراته من الشرود إلى الحيادية وقال في استغراب: **الحقيقة مش عارف إيه اللي ممكن أقولهولك عن تفاصيل شغلك ومهام عملكِ، عمر ما كان عندي مديرة مكتب، ولا مكتب أصلًا، طول عمري بكتب في بيتي في أوضه مكتبي و جنبي سبرتاية القهوة والسكر والبن، لكن يا ستي لمَّا شغلي زاد وبقيت بكتب في أكتر من مجلة وجورنال، ده غير الروايات والمسلسلات أصحابي بقى والمدام صمِّموا إني أجيب سكرتيرة أو مديرة مكتب زي ما بيقولوا، بس أعتقد يعني إنك هتعمليلي اللي بتعمله مراتي في البيت..**

لمح اندهاشًا يكسو ملامحها، فاستدرك قائلًا: **متفهمنيش غلط أرجوكِ، أقصد إن "آسيا" المدام بتنظملي حياتي في البيت، وإنتِ هتنظمي حياتي في الشغل، بس كده..**

ابتسمت تقول: **إذا كان كده ماشي، أنا كنت بنظم شغل اتحاد الطلبة في الجامعة..**

ضرب على مكتبه ضربة خفيفة ثم قال: **ياااااه...إتحاد الطلبة، هو لسه فيه في الجامعات اتحادات؟**

: **أُمَّال يا أستاذ وعلى أعلى مستوى كمان**.. فغادر نادر كرسيه وتحرَّك ليجلس أمامها وقد أمسك ورقة وقلمًا وهو يقول: **ركِّزي يا ريتال كده واحكيلي بقى كنتم بتعملوا إيه بالظبط؟**

هكذا عُيِّنت ريتال بأعوامها الأربع والعشرين كمديرة مكتب للكاتب المُبدع "نادر الزعفراني" وبمنتهى العفوية ناولها كل المفاتيح الخاصة به، مفاتيح المكتب، الدواليب، الأدراج، الملفَّات القديمة التي تحمل النسخ الورقية لأعماله ومسودات مؤلفاته "كنزه العظيم" كما يسميه، نسخة إضافية من مفتاح سيارته، كلمة المرور لحاسوبه الآلي، فهي من ستقوم بكتابة قصصه وأعماله على الحاسوب، وأمامها وضع ألفًا من الجنيهات في مظروف ثم سلَّمها إياه مفتوحًا قائلًا: **المبلغ ده هتشيليه معاكِ احتياطي لأني أحيانًا باجي المكتب من غير ولا مليم، بنسى أحط فلوس في المحفظة!**

هالها ما وضعه فيها من ثقة دون أن يعرفها، أن يختبرها، دون

أن يسـألها شيئًا.. فقط اكتفى أنها من طرف صديق يعرفـه، ياله من رجـل غريـب، رجـل لاسـع!

بـدأت ريتال عملها، وفي دواليب الأسـتاذ نادر وجدت كنوزًا مهملـة، أفـكار رائعة وعبـارات رنَّانة و قصص جهنميـة كتبها ولم يكملهـا واحتفظ بها ربمـا ليعيد صياغتها أو لسـبب آخر لا تعرفه، عقودًا لم تُسـدَّد قيمتها بعد، إيصالات من دور النشـر لم يسـتردها الأسـتاذ، أمضت أكثر من شـهرين ترتب مكتبه ودواليبه و تسـجل فواتيره ومسـتحقاته، وبمرور الأسـابيع صارت تفهـم عملها أكثر وتفهـم نـادر أكثر وأكثر.. تفهـم عقليته، تصرُّفاتـه، طريقة تفكيره، صارت تـدرس أعصابـه و ردود أفعاله؛ فأصبحت جـزء من عقله الـذي يماثـل التلفاز، فيه الكثيـر من القنوات، سياسـة، فن، أدب، مسـرح، سـينما، أخبار، أمـا الريموت كنترول الـذي يتحكم بتلك القنـوات فهو في يدها الأمينـة، الفاهمة، الواعية.. أصبحت تتدخل في كل شـيء، حتـى أعقاب السـجائر التـي يتركهـا في الطفَّاية آخر اليوم صارت تعدها لتعرف كم سـيجارة دخَّن؛ فإذا تجاوزت عدد الأعقاب ماهو مسـموح به سحبت ريتال بهدوء بعض السجائر من

علبتـه في اليـوم التالي ودون أن يشـعر فيُدخِّن العـدد المقبول ولا يتجـاوزه، تتـذوق القهـوة قبل أن يشـربها لتعرف هـل يغش عامل البوفيـه البُـن أم لا.. تهتـم بوضع هاتفـه المحمول على الشـاحن لتتأكـد مـن تمام الشـحن، تجلس إلى الحاسـوب لتجمـع له آخر الأخبار العالمية التي تهمه، تفلتر كل جديد تسمعه أو تعرفه لتخبره بما توقن أنه يهمه، لتلقيه في حديث شـيق على مسـامعه خلال فترة الراحـة التـي حدَّدتها له من الواحـدة حتى الثانيـة والنصف ظهرًا، حينهـا تُخفِّف إضاءة الغرفة، تسـأله أن يسـتلقي علـى كنبة جلدية مريحة اشـترتها لذاك الغرض، تنسـاب الموسيقى الهادئة من زوايا الغرفـة، تنبعث رائحـة "العود" العطرية من فوَّاحة إلكترونية تنشـر أريجها كل خمس دقائق، تُمنع المكالمات الهاتفية تمامًا آثناء تلك الفـترة، كوب كبير من مشـروب الزبادي بالعسـل صيفًـا، والقرفة والزنجبيل والحليب شـتاءً.. تطوف على المكتبات أسـبوعيًا قبل عودتهـا للبيت لتشـتري له الكتـب والإصـدارات الحديثة... آلت إليها أمور التفاوض والاتفاق مع ناشري أعماله و رواياته وبمهارة شـديدة اسـتطاعت رفع نسـبته الى أربعة أضعاف.. صارت تقبض نقـوده أو تُكتب شـيكاته إلـى حامله فتُسـارع لإيداعها في حسـابه

البنكي..ناهيك عن أنها جعلت من مكتبه جنَّة غنَّاء، مأوى مُشرق.. مُبهج.. مُنيـــر، تزيِّنه كل يوم ورود و أزهار عصافير الجنة..

استطاعت ريتال تنظيم علاقة الأستاذ نادر بنفسه و بكل من حوله، حاول بعضهم التمرد على ذاك الوضع الجديد والتقليل من شأنها وتحدي سلطاتها لكنهم باءوا بالفشل؛ فلم يعُد نادر يبتسم لأحدهم إلا إذا ابتسمت له "ريتال" أولًا..

كل ذلك وابن الزعفراني مستسلم بسخاء، كطفل وجد أمه، أصبح يرى بعين ريتال ويسمع بأُذنها، وكله سعادة وتفاؤل؛ فإنتاجه يزيد و دخله يزداد ووقته يتسع وعقله المرتبك يصفو و نفسيته الحائرة تستقر و شروده الدائم يتبخر...

فبدأ من حوله في الوسط الأدبي يحاربونها بالإشاعات حتى تجرأ أحدهم واتصل بزوجته السيدة "آسيا الغانم" في مستقر إقامتها في "الزعفرانية-بغداد"، وراح يروي لها عن علاقة زوجها بمديرة مكتبه، وكيف أنه استأجر شقة صغيرة في مدينة "الشروق" ليلتقي فيها بحبيبته، وأقسم لها أنه وغيره كثيرون رأوا عصفوري الغرام يتردَّدان على تلك الشقة التي اختاراها بعيدًا عن عيون البشر... فلم

تتردد "آسيا" دقيقة وحزمت أمتعتها عائدة إلى القاهرة وقد هاجت عواطفها على زوجها وابن خالتها وراحت تتَّهمه وتلومه وتحاكمه داخلها على ما سدَّده نحوها من طعنة خيانة غائرة رغم ما بينهما من سنوات حب ثم زواج، رغم ما يربطهما من قرابة ونسب، لم يحفظ "نادر" لها مكانتها في قلبه، فقلوب الرجال لا آمان لها!..

لم يكن شيء من ذاك حقيقة، إنها مجرد إشاعة سخيفة دنيئة بناها منافسو نادر على أنقاض معروف وخدمة إنسانية أسداها الأستاذ لمديرة مكتبه وصندوق أسراره مُكافئة لها على إخلاصها في خدمته.. فبعد عامين قضتهما "ريتال" في مكتبه بتفانٍ عظيم لم يكن من الغريب ولا العجيب أن يمد لها رئيسها يد العون حين انهار العقار الذي كانت تسكنه في الزاوية الحمراء إثر انفجار ماسورة غاز، كان العقار متداعٍ نوعًا وقد صدر له قرار تنكيس واتفق سكانه على جمع المبلغ اللازم لذلك، لكن الحادث المروِّع لم يمنحهم وقتًا وصُرع تحت أنقاضه ثمانٍ من السكان من بينهم "الأستاذ عز الدين"... وبين عشية وضحاها وجدت ريتال نفسها يتيمة وحيدة، تصارع أمواج الحياة وتلاطمها بشراع متهدلٍ؛

فاستأجر "نادر" الشقَّة التي لم تكن في "مدينة الشروق" بل كانت في "حي الزيتون" ليُسهِّل على "ريتال" رحلتها صباح مساء إلى مكتبه في "مصر الجديدة"..

سبعمائة وثلاثون يومًا جمعت "الأستاذ نادر" بسكرتيرته المخلصة "ريتال" دون أن يحدث بينهما ما يُشين علاقتهما البريئة الخالية من كل دنس... ورغم ذلك فلم يكن نادر مجرد رجل تعمل ريتال عنده، فلقد كان أكثر من ذلك بكثير، صارت تشعر وكأنه ابنها... بل أكثر من ابنها...

إنه شيء تملكه، تملك عقله، و وقته، وكتاباته.. شيء صنعته بيديها..وبذلت في صناعته الكثير؛ كانت تذهب إلى مكتبه في الثامنة صباحًا، تجهز له أوراقه وتبري له أقلام الرصاص التي لا يكتب إلا بنوع محدَّد منها تشتريه له أسبوعيًا من مكتبة معينة في الفجَّالة، تُعد له برنامجه اليومي، يدخل الأستاذ مكتبه في التاسعة والنصف فتسارع بتحضير كوب النسكافية الخاص به، في الواحدة تضغط إشارة النظام الإلكتروني "السيستم" فتخفُت الإضاءة وتنساب الموسيقى، تُحضِّر مشروبه وتُحدِّثه بإيجاز عمَّا اختارته له

مـن أخبار وطرائف، ثم تخرج لتُحضـر له غدائه ومعها قائمة مُعدَّة سابقًا بما ينقصه، تعود بعدها للمكتب وكلَّها لهفة وكأنها غابت عنه أيامًا.. وكأن "نادر" سُـــرِق منها... تغادر عملها في التاسعة، تتركه ليكتـب، فالإلهـام لا يعرف الوقـت ولا يعترف بقوانيـن الطبيعة.. وفي بيتها تظل سـاهرة تضع هاتفها المحمول بجوارها؛ فقد يحتاج "الأسـتاذ" شـيئًا فيطلبها ليسأل عنه.. تقضي أمسـيتها تقرأ المواقع الإخباريـة لتلخصها لـه وتعرضها عليـه صباحًا مع قهـوة الحادية عشر..ثمَّ تخلد إلى النوم بعد أن يهاتفها نادر وهو في سريره، حينها فقط تستسلم للنوم لتصحو وهي ملهوفة عليـــــــه!!

أضحت تغار عليه، لم تنكر ذلك حين ضبطت نفسـها متلبسة بنيـران الغيـرة، لكنَّها لم تكن غيـرة كغيرة البنات، بـل أنه نوع آخر من الغيرة.. كانت تغار وتفور غيرة على شـيء تملكـــه، وتخاف أن يأخذ أحد منه بعضًا.. تخاف أن يسـرقه أحد.. أن يتجرا أحدهم فيهـدم جـزءً ممـا بنته.. صـارت تغار عليـه غيرتها علـى حاضرها ومستقبلهـــا.. غيرتهـا على شغفها.. كيانهـا... وجودهـا..

تعلـم أنه متـزوج من بنت خالته" آسيـا الغانـم"، عراقية مثله

مـن الزعفرانيـة، ارتحلـت معه إلى القاهـرة بعد حادث مأسـاوي انفجرت فيه أكداس كبيرة من الأعتدة والصواريخ العائدة للجيش العراقي السابق في أحد الأيام بصورة غير نظامية ممَّا أدى إلى تطاير الصواريخ والمقذوفات في سماء المدينة بصورة عشوائية أدَّت إلى هلع السـكان وراح ٩ أفراد من عائلتهما ضحايا لهذه المأسـاة بعد أن سـقط صـاروخ على دارهـم وحوله إلى حفـرة في الأرض ولم تتوقف الانفجارت إلى أن قامت طائرات التحالف بقصف الموقع المذكـور بالطائـرات المقاتلة، بعدهـا كره "نـادر" الزعفرانية كلها واختار الحضور إلى القاهرة ليشق منها طريقه الأدبي.

وصلت "آسيا" القاهرة وقد استعرت غيرتها، عقدت النية على عدم مواجهة زوجها بما وصلها، استغرب نادر حضورها المفاجئ؛ فقـد أخبرته قبل عام قرارها المفاجئ بالعودة إلى العراق، وتحديدًا البصـرة؛ لقد تراءى لها أن تتابع أبحاثها وتُكمل دراسـتها العليا من حيـث بدأتها مع فريق عمـل من كلية العلوم-جامعـة البصرة، فمن السـفه أن تهدر ما حقَّقته خلال مشـوارها الذي طال نحو الدكتوراة من نتائج مذهلة حول "اسـتخدام الطحالـب في تكنولوجيا النانو"،

حينهـا تفهَّم نـادر حاجتها وقدَّر حقَّهـا واحترم رغبتهـا في مواصلة طريـق اختارته لنفسـها الأبية، انتصر لِمَا دعى لـه كثيرًا وحارب من أجلـه، انتصر إلى " المسـاواة" وتقديـر الأمور بميـزان العدل وبما يحقق السعادة للطرفين، من حق آسيا أن تواصل ما بدأته وأن تغلب مصلحتها العلمية حسبما تراها على وجودها معه في مكان يحقِّق له كل تميـز و نجاح، أما هي فقد أغلقـت ملفها المهني لبعض الوقت حتى تسـتقر أوضاع زوجها حيثما رآها مناسبة.. وحين ابتسمت له الدنيا و زادت شـهرته ولمع اسمه رأت أن سفينته قد استقرَّت على شط آمن وعليها أن تعيد الإبحار بسفينتها نحو غايتها وقد فعلت..

و رغـم كل مـا اختمـر في عقلها مـن خيالات و رغـم كل ما توهَّمته من سـقوط مخزي وابتذال مهيـن جمع نادر بمديرة مكتبه الرخيصـة إلا أنها لم تجـرؤ على مواجهته بما وصلهـا، لم ترد أن تتعـرى أمامـه فتبـدو جروحها غائرة، لـم ترغب في منـح "ريتال" الساقطة شرف إيذائها!

كانـت قـد رأتهـا لأول مرة بعـد أن تسـلَّمت "ريتـال" عملها بشـهرين، وقد اطمأنت لها حين رأتها، فلم تُحدث ريتال في نفسـها

أمرًا أو تُحرِّك مؤشر رادار الشك إطلاقًا، وجدتها فتاة عادية المظهر، متوسِّطة الجمال لا ترقى إلى مستوى جمالها البغدادي رغم أنها تصغرها بثمانٍ سنوات، كما أن هندامها وسلوكها ومشيتها كلَّها عوامل لا تدل على أنها من الفتيات اللاتي يصطدن الرجال، إنها فتاة جادة... فتاة لا تُجيد العزف على أوتار القلوب.. ما الذي حدث ليقلب الموازين فيجعل من "نادر الزعفراني" زوجًا خائنًا.. سافلًا عربيدًا مع فتاة كريتال؟!

علَّلت "آسيا" قدومها المفاجئ للقاهرة بشوقها الزائد لطفل يجمعها بزوجها الحبيب، الرجل الوحيد الذي أحبَّته منذ أدركهما الشباب وانفلتت منهما نظرات الوجد والهيام، من أجله ومن أجل طفلٍ يأتيها من صلبه الزعفراني أرجئت مشروع الدكتوراه، فسنوات خصوبتها تكر وتفر دون أن يستكين في رحمها ما يجمعها بنادر إلى الأبد، انتشى نادر لحديثها وأسعدته فكرة شوقها له وزاد حماسه فيما يخص فكرة "الطفل" فلم تكن نفسه راضية تمامًا عن قرار تأجيل الإنجاب، إلا أنه لم يشأ أن يكون أنانيًا فيحبس طموح زوجته ويقتل غايتها ويكبِّلها بأعباء ومسئوليات طرف ثالث

متسلط، له كل الحقوق ومن أجله تتعاظم الواجبات.. لكن "آسيا" الآن هـي من تتراجع قانعة عن فكرة التأجيل بل وتسـعى بكل همة ونشـاط إلى تحقيق الحمل..فأصطحبته معها إلى مركز متخصص للتخصيـب و الحقن المجهري وبدأ معًا رحلة الانضباط والالتزام بمواعيد الأنشـطة والأدوية، والأهم الذي يتوجب عليهما الحفاظ عليه هو جدول مشروع "الزعفراني الصغير"..

لم تكن حالة آسيـا الغانم الطبية سيِّئة إطلاقًا، فلا توجد لديها موانـع قاتلة، فالأمر لا يتعدى بعض تكيسـات في المبيض، أخبرها الطبيب النسـائي أنـه "مرض العصر" وأنَّ فرصتهـا في حمل طبيعي كبيرة وعليها الانتظار، إلا أنَّها أصرَّت على المُضي في عملية الحقن المجهري، فلا داعي للوقوع في فخ الانتظار، فكان لها ما أرادت..

وخلال تلك الفترة أحسَّـت "آسيـا" بنفوذ وسلطات "ريتال" الواسـعة والقوية داخل دائرة زوجها، بل أنَّها أيقنت استسـلام نادر الكامل لها حتَّـى أنَّها أصبحت تعرف أوقات فراغه منها، وفي ذات المرَّات سألته أن يصحبها إلى الطبيب فقال: **اسألي ريتال أنا فاضي يومها ولا لأ؟؟**

كادت أن تقذفه بكوب العصير الذي في يدها، لكنَّها صمَّمت أن تكون الأقوى، ويلزمها هدوء و حكمة لتتعامل مع ريتال و شبحها وسيطرتها، أخذت نفسًا عميقًا وقالت: **إنت لازم تعرف لحالك، مو لازم نسأل سكرتيرة في ها الشيء، حبيبي هدا أمر خاص، خاص جدًا..**

وعلى صعيد مقابل صارت تتعمَّد أن تُشعر غريمتها دومًا بأنها مجرد "سكرتيرة" ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك، تتصل بها هاتفيًا وقد انتفخت أوداجها كبرياء وعزَّة لتقول لها من طرف أنفها وبلكنة مصرية تجيدها: **وإنتِ جاية المكتب روحي اشتريلي كتب عن الطفولة والأمومة بميزانية مفتوحة وابعتهوملي مع البيه..**

في الحقيقة لم تنتبه "ريتال" في البداية لذاك العنفوان والتعمد فكانت تُلبي طلبات آسيا وأوامرها رغم سخافة تلك الأوامر في كثير من الأحيان، لكن مع تكرار النبرة الآمرة والطلبات المستفزة التي صارت عنوانًا مُميَّزًا لكل مكالمات المدام التي تمادت؛ لم تعد ريتال تؤدي لها شيئًا، فلقد أدركت أن الهانم تتأمر؛ فقرَّرت أن تُعيد الأمور إلى نصابها، إنها سكرتيرة الأستاذ نادر وليست

سـكرتيرة "مدام آسيـا الغانـم".. وبدأت المعركـة الصامتة بينهما تأخذ مسارًا آخرًا.. "التحـــــــــــــــــدي"..

أصبحت آسيـا تـأتي إلى المكتـب كثيرًا و تنقـل المزهرية أو الطفَّاية من مكانها، ثم تحرك المقاعد وتُغيِّر ترتيبها، أمرت الساعي بشراء طقم فناجيل جديد للقهوة.. كادت ريتال تُجن، إنها لا تذهب أبدًا إلى بيت آسيـا وتعيد هندامه فلِمَا تأتي تلك الشرسة لتُغير على مملكتها لتتلاعب بها؟!

لقـد ضحَّـت ريتال من أجل تلـك المملكة، عانـت كثيرًا من أجـل أسـتاذ "نـادر الزعفـراني" واسـمه وصيته وشـهرته، رفضت الكثير من عروض الزواج، رفضت السـفر إلى الشارقة حيث تقيم شقيقتها وزوجها، رفضت كل ما يبعدها عن تلك المملكـــة التي بنتها وصنعتها بنفسها!

لكنَّهـــا أيضًا من أجل الأستاذ صبرت على زوجته، من أجل عيونـــه، لقد اشترت "خاطـــره"...

ثـم جاء اليوم الفاصل حين زارت "آسيـا" المكتب، تعمَّدت تجاهل ريتال؛ فلم تلق عليها التحية، حاولت أن تدخل إلى زوجها فقالـت لهـا ريتـال في هـدوء وأدب: **الأسـتاذ عنده ضيف يـا فندم ومينفعش حضرتك تدخلي..**

وبالفعل كان نادر مشـغولًا باجتماع مُصغَّر جمعه بناشـر مُميَّز لـدار كبيرة لمناقشـة أمر روايتـه الجديدة، لم تستسـلم "آسيـا" و طاردتهـا هرمونات الحمـل فأحرقت هدوءها واشـتعلت أعصابها فطفا على السـطح بعض ممـا كان مختبأً في الأعماق؛ فصرخت في وجه ريتـال وقالت بتجبُّر: **إنتِ أكيد اتجنَّنتي، إزاي تمنعيني أدخل لجوزي وقت ما أحب، نسـيتي نفسـك و زوَّدتيها أوي، إنتِ مجرَّد حتة سكرتيرة لا راحت ولا جت، وفي أي وقت تمشي ويجي غيرك وأحسن منكِ كمان.**

سـكتت ريتال، أما آسيـا فقـد فتحت البـاب و دخلت وكلَّها نظـرات تحـدي وجبروت.. ومـن يومها أصبحت الحـرب بينهما سافـــــرة وعلـى أشُدهـــــا دون أن تُعلـــــن إحداهمـا أو تقرع طبول الحـــــرب..

غابـت "ريتال" ثلاث أيام متتالية، كانـت أيامًا ثقيلة جدًّا على نادر، متعبة للغايـة، يروح ويجيء في مكتبه في حالة تأهب وانتظار، يهاتفهـا فلا تجيب علـى مكالماته بينما يكاد قلبهـا ينفطر من فرط لهفتها عليه وافتقادها لنسـيم يومها، حاولت أن تنشغل عنه بزحمة يومها الذي ملأته بتفاصيل كثيرة كانت قد نسـيتها، تقضي ساعات صباحاتهـا في التجول في المولات التجارية وشـوارع وسـط البلد، تشـاهد المحلَّات وتتفـرج على الفتاريـن، تعود إلـى بيتها منهكة لا تقـوى قدماها علـى حملها، تأخذ حمامًا تسـرع بعـده إلى لقاء زميلـة أو صديقة قديمة غابت عنها بعد عامين ونصف من القطيعة الكاملة، تدخل سـينما، أوبرا، لعلَّ شـيئًا يكون قادرًا على انتزاعها مـن تفكيرها الدائم في نـادر وجدوله ومواعيـده وتفاصيله الكثيرة المملَّـة، لكن لم يكن هناك ما يسـتطيع انتزاعهـا منه، لقد علقت به حتى صارت نسيجًا من أنسجته..

بينمـا نادر يتعذَّب ويعـاني غياب ريتال من جهة ونار "آسيـا" التـي طار عقلها وتحكَّمت الغيرة فيها من جهة أخرى، لقد أصرَّت علـى أن تُطـرد "ريتال" نهائيًا مـن حياة زوجها، راحـت تجمع كل

الإشاعات الكاذبة والأخبار السوداء التي أُشيعت عنهما وأشهرتها في وجهه، وأقسمت أنه خانها، ومازال يخونها، والأكبر والأدهى أنها لن تستمر على عصمته إذا استمرَّت "ريتال" مديرة لمكتبه.. لقد تنازلت كثيرًا وما عاد في إمكانها تقديم المزيد من التنازلات، عاشت من أجله عشرة شهور كالحة لا يُحلِّق فيها في سماءها إلا "غرابيب سود" ولقد اكتفت..

ازداد عذابه وتفاقم، أسرع يزور "ريتال" في حلمية الزيتون؛ فلم يجدها، أخبره حارس العقار أنه استوقف لها تاكسي بينما استقرَّت حقيبة ملابس إلى جوارها داخله إلى وجهة غير معلومة!

طالت الأيام إلى عشرة، نما عذابه وأربك تفكيره وروحه وعمله، تبخَّر استقراره واهتزَّ عرش استقراره.

وفجأة ازدهر صباحه وأشرق حين دلف مكتبه متأخرًا فوجدها فيه، صاح قائلًا وقد تهلَّلت أساريره وانفرجت تكشيرة طال بقاؤها على وجهه: **أخيرًا يا ريتال رجعتي، حرام عليكِ!**

رجعت ريتال لعملها الذي أدمنته، لمملكتها التي تعشقها، لكن الملك ذاته لم يعُد كما كان، لقد عجزت أن تتحكم في الريموت كنترول كما كانت تتحكم من قبل!

صار يعاني ويعاني، يكابد ألمًا موجعًا، يكويه لهيب الخيار بين ريتال وآسيا، قوى عظمى في داخله تدفعه للتخلص من إحداهما، قوى عظمى تدفعه للإختيار.. وما أوجعه!

إما أن يطرد ريتال من جنته، أو بالأصح أن يطرد نفسه من جنتها وإما يطلِّق زوجته التي تنتفخ بطنها بجنين يوشك أن يرى النور.. لكن "نادر الزعفراني" كان أضعف من أن يختار.. كان أطيب قلبًا من أن يضحي بزوجة تزوجها عن حب، وعاش معها أكثر من سبع سنوات، كان أضعف من أن يستغنى بنفسه عن ريتال تلك التي أدرك حاجته الماسة لها، فقد أضحى بدونها وهِنًا كبيت العنكبوت!

وفي قرارة نفسها تمنَّت ريتال أن يطلق نادر زوجته، فلا جدوى لها في حياته، إنها لا تليق في حياة كاتب مُبدع فذ، فنَّان حسَّاس كالزعفراني، آسيا ليست أكثر من ديكور، ثوب كلاسيكي يرتديه استكمالًا لوجاهة اجتماعية، إنها لا تعينه في عمله، ولا في إبداعه ولا بصمة لها في حياته، بل إنها عبء عليه وعلى موهبته وفطرته المُحبَّة لكل جميل..آسيا ليست أكثر من عذاب أليم يسري في أعصابه.. شجرة يابسة استقرَّت في أرض خياله الخصبة!

تؤمن ريتال في قرارة نفسها أنه يحتاجها هي، هي من تُدير محطَّته الإبداعية ليملأ العالم توهجًا وصخبًا، لتزهر براعم فنه وتطرح مجدًا و زهوًا..توقن داخلها أنه يراها أكثر مما يرى آسيا وأنها الأحق به من تلك الأنانية المدللة الممتلئة غطرسة و وقاحة!

أما آسيا فقد أنهكتها خيالات خيانة نادر لها مع تلك الريتال الوقحة، فخيانة الزوج أكبر دليل على فشل زوجته كأنثى، فالخيانة دليل قاطع لا مجال للتشكيك فيه أن زوجته لم تكفيه، لم تكفي حاجته الإنسانية إلى جنس حـــواء!

استمرَّت المعركة وكلا الطرفين يُضيِّق الخناق على نادر الزعفراني إلى أن كان يوم..

دخلت آسيا المكتب على ريتال وقد تكوَّرت بطنها أمامها وثقلت خطوتها لكنها كانت قد عقدت العزم على إضرام النار في الهشيم ليستحيل رمادًا تنثره الريح.

دخلت عليها كالعاصفة وصرخت في وجهها: **اسمعي، إنتِ مطرودة وهتمشي من هنا فورًا، بصراحة أستاذ نادر مُحرج يقولك تمشي بس أنا اللي بقولك أهو.. كفاية كده، إنتِ بوَّظتي اسمه وسُمعته وحياته، إمشي اطلعي بره..**

رفعت ريتال رأسها ونظرت لآسيا بكل احتقار، ولأول مرة تقف أمامها وكلَّها تحدي قائلة: **لو فكَّرت للحظة واحدة إن نادر مش عايزني كنت مشيت من نفسي ومكنتش استنيت إنه يطردني، ولعلمك هو محتاجني أكتر من ماهو محتاجك، إنتِ صحيح المدام لكن متعرفيش عنه اللي أنا أعرفه، للأسف الأستاذ نادر أطيب وأنضف من إنه يخونك!**

جنَّ جنون آسيا من تحدي ريتال لها فعادت تصرخ: **اطلعي بره... إطلعي بره يا حيوانة..**

خرج نادر من مكتبه مذعورًا، وقف بينهما ذاهلًا وكأنه بين المطرقة والسنديان.

نظرت ريتال نحوه، تغلَّلت نظرتها في عينيه، ولأول مرة تعترف لنفسها أنها تحبه، تحبه كما هو، ضعيفًا.. ذاهلًا... مرتبكًا...تحبه أكثر من مائة امرأة كآسيا.. أكثر من ألف مِثلها!

ولأنها تحبه أكثر رأت أن تُضحي به وتتركه لمن تحمل جنينه بين جنباتها، فلا داعي لأن تشقه نصفين؛ فلا تقوم لنصفٍ قائمة دون الآخر!

عـادت ريتال إلى بيتها تبكي بحرقة.. تبكي كل ما بنته.. تبكي رجلًا صنعته بيديها وقدَّمته على نفسها وسَيَدَتْه على عالمها كله... انقضى عشـرون يومًا طويلًا بطيئًا جدًا وهـي وحدها تفكر فيه ليل نهـار، تتابعـه في خيالها، تترقَّب مقالاته فلا تجدها، تتسـائل يا ترى هل قبض الشيك؟ هل أنهى الرواية الجديدة؟ هل جدَّد ثقته بناشره القديم؟ هل نسخ مسودة كتابه الإلكتروني؟

وذات ليلـة زاد سـهدها عن الحـد، قضت سـاعات تفرك في الفـراش، تتقلب على جمر الشـوق، تناولت حبَّـة منومة، حاولت الاسـترخاء؛ فإذا بها تسـمع جـرس الباب، ارتعبـت فقد تجاوزت السـاعة الثالثة فجرًا.. هرعت إلى العين السحرية تستطلع الأمر... إنه نـــــادر!

فتحـت الباب متلهِّفة إلى رؤياه حقيقة تقف أمامها، فلا حاجة إلى التخيل الآن..

نادر.. مذهولًا.. شاردًا.. أعياه الشـــوق دخل دون أن تدعوه للدخول، وقف أمامها زائغ النظرات، أغلق الباب، لم تتكلم ريتال، اتسعت عيناها تنظر إليه وقلبها يخفق باضطراب..

رمى بنفسه على كنبة الأنترية وقال وهو يبكي: **أنا مش قادر ولا عارف ولا عايز أعيش من غيرك يا ريتـــال، حاسس إني من غيرك بموت ببطء قاتل، مُنتظر رصاصة الرحمـــة اللي مبتجيـــش..**

اقتربت منه ريتال حتى لامس فخذها فخذه شعرت بأنه يرتجف؛ وضعت يدها المرتعشة على كتفه وقالت بكلمات متهدِّجة: **أنا معـــــاك أهو وهفضل طول عمري معـــــاك..**

نظر إليها طويلًا وعيناه ترقص فرحًا ثم جذبها فجأة إلى أحضانـــه وضمَّها بقوة، دفن رأسه المتخم بلهيب فقدها في عنقها يستنشق عبيرها، ثم لثَّم شامة تُزين المسافة ما بين عنقها وكتفها وهو يقول: **لو سبتيني تاني همـــــــــوت..**

فاطبقت شفتيها على شفتيه وغرقـــــا معًـــا في قبلة تعادل انتظارهما الذي طال على حافة الشوق..

ومع خيوط الصباح الأولى كان الحبيبان يجلسان أمام المأذون بينما جلست "آسيـــا" في المقعد الخلفي لسيارة الجيران تتحسَّس المياه الساخنة التي انفجرت أسفلها غير مصدقة ما يحدث؛ فموعد وصول "الزعفراني الصغير" لم يحن بعد!!

تمـَّـــت بفضلِ الله

رشا شمس

في سطور

❤ قاصة وروائية مصرية عرفها القراء حين صدر لها مجموعة قصصية كاملة بعنوان "**قلوب واجفة**"، كانت الأكثر مبيعاً ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٧م، تم ترجمتها إلى الفرنسية وأُدِعت النسخة المترجمة في مكتبة باريس العامة..

❤ وفي ٢٠١٨م قدَّمت رواية "**واشتاقت إليك عيناي**" التي حقَّقت نجاحًا مرضيًا على الصعيد الجماهيري خلال فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٨م وكانت الأعلى مبيعًا ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع، وصدر من الرواية أربع طبعات في عامٍ واحدٍ، أشاد بالرواية لفيف من الأدباء المصريين والنقاد وناقشها د. حسام عقل

أستاذ النقد والدراما في ندوة مميزة جرت في دار الأوبرا المصرية في سبتمبر ٢٠١٨م.

❤ وفي معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩م قدَّمت "**قابل للفقد**" مجموعة قصصية من العيار الثقيل وحقَّقت نجاحًا غاليًا حيث صدر منها طبعتان خلال المعرض.

❤ حاصلة على بكالوريوس في علم الميكروبيولوجي من جامعة عين شمس بتقدير عام جيد جدًا، عملت أثناء دراستها الجامعية كصحفية في مؤسسة أخبار اليوم.

❤ حاصلة على دبلومة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة كامبريدج ١٩٩٧م، تتلمذ على يديها مئات الأجانب العاشقين للغة العربية وفنونها وآدابها، حاصلة على دبلومة في الأدب المقارن وعلوم الدراما من جامعة كامبريدج ٢٠٠٠م.

❤ المدير العام والمنسق الإعلامي لمبادرة نساء مبدعات المعنية باكتشاف ودعم المواهب والأقلام الأدبية من جميع أرجاء العالم العربي.

❤ تعشق القراءة والأدب، وتربية الطيور وخاصةً العصافير والكناريا، تهوى ركوب الخيل والاسكواش، الموسيقى وتفضل "البيانو" و"الناي" والمقتنيات القديمة والتحف المميزة..

لاقتناء المجموعة كاملة
يرجى التواصل معنا :
الشهد بوك ستور
٠١٠٣٠٨٥٠٥١٢